

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

[57] الدفاع عن سيد الشهداء ، بين رجاله الذين ماتوا عن آخرهم ، وهم عليمون أنهم

يخوضون معركة ، خاسرة بكل المقاييس التي يتقاييس بها المتحاربون ، مظفرة بمقاييس المؤمنين. ولو عاش هؤلاء الشهداء العظماء ، سنوات أو أشهراً أخرى ، لماتوا كما يموت الآخرون. لكنهم ماتوا شهداء " كربلاء " ، ليحيوا في ضمير الزمان كله أمثالا للحق ، وعناوين على عظمة الإسلام. كانت كربلاء رسالة من ابن النبي للمسلمين: هي الأولى من نوعها بما تحويه من دروس. لا تحصى ، فحسبنا أن نشير إلى البعض منها. وفي الدرس الواحد جماع دروس: وأول الدروس يتعلق بالحق ذاته. وفي الحق أعظم الدروس: أن لا يقر أحد الباطل. وأن يقدم في سبيل ذلك نفسه ، وأن يكون قدوة. وألا يهاب المكثورون كثرة الظلمة. فالأهم تبقى بالمقاومة ولا تصيبها الهزيمة إن فقدت معركة ، ما دامت فيها إرادة النصر، يسعى إيمانها بين يديها لتبلغ غرضها كله ، إن لم يكن من فورها ، فمرحلة بعد مرحلة. وأول من تعلم على الحسين بن علي درسة 61 كان عبد الله بن الزبير باستشهاده بمكة بعد أعوام عشرة ، وهو مكثور بجند عبد الملك ابن مروان بعد إذ حرقوا الكعبة ، كما حرقها جند يزيد بن معاوية. وتعلم عمر بن عبد العزيز وعلم المسلمين - في مدة خلافته - أن الكلام أو الصياح ، ليس الأداة المثلى للإصلاح ، وإنما المواقف هي التي نهز وجدان الشعوب ، فكان له أعظم المواقف إذ بدأ بنفسه وأهله فضحى فكانت فيه الأسوة الحسنة. وكلل الله سعيه في أقصر مدة: ثلاثين شهراً كانت كافية لإصلاح دولة أدمائها نحو قرن من الفساد ، وإسعاد أمه تنتظر القدوة من حكامها فلا تجدها .